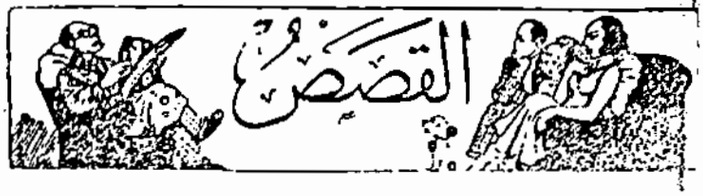

المهـــرج

للكاتب الروسي ماكسيم جوركي

كانت النافذة المستديرة المرتفعة لزنزانتي تطل على فنـاء السجن . فإذا ما نظرت منها بعد أن أعتلي منصدة بجوار الحائط ، أشاهد كل ما يحدث في هـذا الفناء ، وأراقب الحمام يبني عشه على الحافة العليا من النافذة ، وأشم هديلا يتعالى فوق رأسي . وكان لدى من فسيح الوقت ما يسمح لي بالتعرف على نزلاء السجن كلما أطللت عليهم . وهـكذا عرفت بوتش أكثر السجناء مرحاً . كان رجلا وسطاً ، ضخم الجثة ، أحمر الوجه ، عريض الجبهة ، براق العينين ، يرتدي قلنسوة على مؤخرة رأسه ، وقد التصقت أذناه على جانبي وجهه في شكل يلفت الأنظـار . وكانت كل حركة من حركات جسمه تبين في جلاء أنه يمتلك روحاً لا تبالي بالكآبة أو الحزن . لقد كان دائم المرح ، كثير الضحك ، محبوباً لدى رفاقه ، يحـوطونه فيمازحهم بمختلف الدعابات ، ويضفي على أيامهم الباهتة ، جواً من البهجة والسرور .

وفي ذات يوم خرج بوتش من زنزانته وقت النزهة وقد قيد ثلاثة جرذان بخيط ، وجعل يمدو وراءها في الفناء وكأنه يقود مركبة . فاندفعت الجرذان وقد أرعبها صياحه ، اندفعت منطلقة في ذعر وجنون . وضج السجناء بالضحك يشـاهدون ذلك الرجل البدين وهو يقود « مركبته » .

كان بوتش يعتقد أنه ما خلق إلا ليجذب إليه الأنظار . وكان لا يعوقه عائق ما في سبيل ذلك . لقد استطاع ذات مرة أن يلصق شعر أحد السجناء بالغراء بحائط الفناء . كان السجين صبياً مستلقياً على الأرض بجوار الحائط وقد أخذته سنة من الكرى . وعندما جف الغراء ، أيقظه بوتش فجأة ، فهب الصبي من نومه مذعوراً وقام على قدميه ، ثم أمسك رأسه بيديه المتخاذلتين ، وأخيراً سقط على الأرض يبكي . وقهقه السجناء من ذلك المنظر وابتسم بوتش في رضاء . ولكني شاهدته بعد أن ابتعد رفاقه يرقبه عن الصبي ويطيب خاطره .

وكان هناك هر سمين نحامي اللون ، محبوب لدى السجناء ، ومدلل منهم . ينتهزون وقت نزهتهم اليومية فيداعبونه فترة طويلة ، ويمر الهر من يد إلى أخرى ، ثم يعدون وراءه ، ويدعونه يخدش أيديهم وأرجلهم وهو يلاعبهم .

وكان الهر محط أنظارهم عندما يبدو في الفناء ، فيوجهون إليه اهتمامهم ويفسدون بوتش ومهازله . وكان بوتش إذا ما رأى ذلك يجلس في ركن من الفناء يراقبهم وهم في غفلة عنه . وكنت أشاهده من نافذتي وأشعر بما يختلج في صدره من شعور وأحاسيس ، فأعتقد أنه سيضطر إن عاجلا أو آجلا إلى قتل ذلك الحيوان عند أول سانحة تسنح له ولذلك كنت آسفاً عليه. إن رغبة الإنسان في أن يكون محط الأنظار غالباً ما تصبح وبالا عليه . فإنه لا يوجد ما يقتل الروح كتلك الرغبة في إدخال السرور على النفوس .

إن أتفه الحوادث عندما يكون المرء وحيداً ، منفرداً ، حبيساً في سجن ، تسترعي انتباهه ، فيوليها اهتمامه . ولذلك كان من السهل أن تفهم سبب اهتمامي بما أتقدمه من حوادث من وراء نافذتي ، وتلهفي إلى معرفة نتائجها .

وفي ذات يوم صفت سماؤه ، اندفع السجناء إلى الفنـاء . فلاحظ بوتش دلوا به طلاء أخضر ، كان قد تركه من يقومون بطلاء سقف السجن . فتوجه إليه ، وحام حوله ، ثم غمس أصبعه فيه ، ثم صبغ شاربه بالطلاء . فأثار منظره ضحك السجناء . وعمد صبي من الزمرة إلى تقليده ، فجعل يدهن شفته العليا . وإذا ببوتش يغمس يده كلها في الطلاء ويصبغ بها وجه الصبي ، ثم جعل يرقص حوله . وضج السجناء بالضحك وهم يشجعون بوتش في صيحات تدل على رضائهم عما يفعله .

وفي ذات اللحظة أقبل الهر يتهادى في الفناء وقد رفع ذيله غير هياب ولا وجل ، وسار بين أقدام الحشد المتزاحم حول بوتش والصبي الذي كان يحاول أن يزيل ما علق على وجهه من طلاء .

فصاح أحدهم — أيها الرفاق ، إن ميشكا هنا !

وصاح آخر — آه أيها الأفاق الصغير !

ثم أمسكوا به ، وما في أيديهم الواحد تلو الآخر وهم يربتون على ظهره ..

وقال أحدهم — انظروا كم هو سمين !

— وكيف ينمو بسرعة !

— إنه يخدشني . يالك من شيطان صغير !

— أتركه . دعه يثب .

— سأحني ظهري له . إقفز يا ميشكا .

ونسوا نوتش ، فوقف وحيداً يمسح الطلاء العالق على شاربه ، وينظر إلى الهر يقفز على أكتاف زملائه . أخيراً قال في نبرات تشوبها رنة التوسل والرجاء — أيها الرفاق ، دعونا نطلي الهر .

فصاح واحد — ولكنه يموت .

فقال — من الطلاء ! ؟ هراء !

فقال رجل عريض الكتفين ذو لحية حمراء — يا لها من فكرة غريبة ! إنك لشيطان حقاً !

ولم ينتظر نوتش موافقتهم ، بل حمل الهر بين يديه وسار به نحو الدلو وهو ينشد أنشودة مضحكة يصف فيها الهر . وابتسم السجناء وابتعدوا يفسحون له طريقاً . وشاهدته وقد أمسك بالهر من ذيله ثم غطسه في الدلو وهو يرقص وينشد . وقهقه الجميع ، واهتزت الأجسام ، وأصابت القوم عاصفة من الضحك أوصلتهم إلى حالة من الجنون . وأطل النساء السجينات من جناحهن يبتسمن ، وشاركهن الحراس في الضحك . وأخيراً صاح ذو اللحية الحمراء — كفى أيها الرجل . فليأخذك الشيطان !

وازدادت حماسة نوتش بعد أن التف حوله رفاقه ، وبعد أن أصبح محط أنظارهم ومبعث سرورهم . وعمر المكان ضحكات جنونية كانت الشمس تضحك وهي تشرف على البناء ، والسماء الزرقاء تبتسم فوق السجناء ، وحتى الحوائط القذرة فقد بدت وكأنها مبتهجة بما كان يحدث في الفناء . وافترت ثغور النساء فتلألأت أسنانهن تحت أشعة الشمس . وانزاح ذلك الفتور القابض الذي كان يبعث في المكان جواً من السأم والملل ، وأصبح مشرقاً تتردد في إنحائه صدى الضحكات .

وأخيراً وضع نوتش الهر على الأرض ، ثم واصل مرحه وهو يلهث والعرق يتصبب منه ، وشيئاً فشيئاً تلاشى الضحك بعد أن تعب السجناء منه ، وأخيراً ران على المكان الصمت ، لا يقطعه إلا صوت نوتش وهو ينشد ويرقص ، وسواء الهر وهو يزحف على الحشائش ، ويتعثر في سيره بأقدام مرتعشة ، ويقف بين الفينة والفينة كأنما التصق بالحشائش الخضراء التي أصبح من المتعذر تمييزه عنها .

وصاح ذو اللحية الحمراء — ما الذي فعلته أيها الوحش ؟

وتطلعت إلى نوتش الأنظار شزراً . وصاح الشاب وهو يشير إلى الهر — أنه يموء . فجعلوا يراقبونه في صمت .

وقال آخر — أيظل أخضر اللون بقية حياته ؟

فأجاب رجل ممشوق القامة أشيب الشعر وقد اقترب من ميشكا — أنه جف في الشمس ، وسيلتصق شعره ، وسيموت .

وظل الهر يموء فيثير بذلك شفقة السجناء ؛ وسأل الصبي قائلا — أيموت ؟ ألا نستطيع أن نغسله ؟ فلم يفه أحدهم بكلمة . كان الهر قد ارتمى تحت أقدامهم عاجزاً عن التحرك . وتهالك نوتش على الأرض وهو يقول « لقد غرقت عرقاً ! » ، فلم يأبه أحد . وانحنى الصبي على الهر وأخذه بين ذراعيه . ولكنه سرعان ما ألقاه على الأرض وهو يقول — إنه ساخن جداً . ثم نظر إلى رفاقه وقال في حزن — مسكين يا ميشكا ! لن يكون هناك ميشكا بعد اليوم . لماذا تودون قتل ذلك المسكين ؟

فقال ذو اللحية الحمراء — لعله يتغلب على الموت .

وواصل الهر زحفه على الحشائش تراقبه أعين عشرون . ولم يبد على وجوه القوم أي أثر لابتسامة . كانوا جميعاً صامتين واجمين في حزن كأنما اتصلت بهم آلام الهر وشعروا بما يشعر به من عذاب .

وقال الصبي — لا أظنه يتغلب على الموت . هاك ميشكا الذي كنا نحبه . لماذا تعذبونه ؟ أنه لن الأفضل وضع حد لآلامه .

فقال السجين ذو الشعر الأحمر غاضباً — ومن الذي فعل ذلك ؟ أنه ذلك المهرج . ذلك الشيطان . فقال نوتش محاولا أن يهدىء من ثائرتهم — ألم نشترك سوياً في ذلك الفعل ؟ ثم احتضن نفسه كأنه يشعر بالبرد .

فقال الصبي ساخراً — كلنا ! عظيم جداً ! إنك وحدك اللوم .

فحذره نوتش قائلا — لا تهدر أيها الثور !

والتقط السجين الكهل الهر وجعل يتفحصه جيداً ثم اقترح قائلا — ألا نستطيع إزالة هذا الطلاء إذا ما حملنا الهر يستحم فى البترول ؟

فقال نوتش وهو يتكلف الابتسام — خذه من ذيله واقذف به من فوق الحائط . إن ذلك أبسط حل للمشكلة . فرجرذو الشعر الأحمر قائلا — ماذا ! ؟ لنفرض أنى قذفت بك أنت فوق الحائط ، أيعجبك ذلك ؟ وصاح الصبى — أيها الشيطان .

ثم أمسك بالهر وعدا به . وتبعه بعض الرجال . وظل نوتش وحيداً بين البقية الباقية من السجناء وهم ينظرون إليه شزراً . فصرخ فيهم مستغيثاً — لست أنا وحدى أيها الرفاق .

فقاطعه ذو الشعر الأحمر وهو يلتفت يمنة ويسرة — صه ، لست أنت . إذاً من ؟

فصاح المهرج قائلا — ولكنكم مشتركون جميعاً فى المسألة.

فقال الرجل — أيها الكلاب . ثم لكمه على وجهه . فتراجع نوتش إلى الخلف ليتلقى ضربة أخرى على عنقه . وجعل يصيح فيهم متوسلا « أيها الرفاق . . » ولكنهم التفوا حوله بعد أن تأكدوا من بعد الحراس عنهم وأسقطوه على الأرض يشبعونه ضرباً . كان كل من يراهم مجتمعين يعتقد أنهم مشتركون فى حديث ودى ، ورقد نوتش تحت أقدامهم ، وكنت تسمع من وقت لآخر صوتاً مكتوماً كانوا يركلونه فى ضلوعه ، يركلونه فى تؤدة وهدوء ، وينتظرون حتى يظهر منه وهو يتلوى على الحشائش كأنى فرجة تسمح لهم بركله مرة أخرى . واستمر ذلك ثلاث دقائق صاح بعدها أحد الحراس فجأة : لا تبتعدوا كثيراً أيها الشياطين !

ولم ينفض السجناء فى الحال ، بل تركوا نوتش يركله الواحد تلو الآخر ، وظل نوتش راقداً بعد أن رحلوا متمطحاً على الأرض وكتفاه يهتزان ، كان يبكى فى حرقة ، وظل يسعل ويبصق ، ثم حاول أن ينهض فى حذر كأنما يخشى السقوط وقد ارتكن على ذراعه اليسرى ، ولكنه نبح كالكلب المريض ، ثم تخاذلت ساقاه ، وأخيراً تهالك على الأرض . وصاح الرجل ذو الشعر الأحمر مهدداً : إياك أن تتظاهر !

فتحامل نوتش على نفسه وقام على قدميه ، ثم سار يترنح فى خطوات ثقيلة ، وأخيراً ارتكن على الحائط ، وقد انحنى ظهره ورأسه ، وكان يسعل باستمرار ، فشاهدت قطرات قانية تتساقط من فمه على الأرض وتتناثر على الحائط . وحاول نوتش جاهداً أن يمنع قطرات الدم من أن تلوث الحائط ، فجعل يمسحها بطريقة مضحكة . وإذا بالابتسامة تعود فتشرق على وجوه من يراقبونه ، وإذا بالضحكات تعود فترن فى أنحاء الفناء .

ولم أر الهر بعد ذلك ... وأصبح نوتش محط أنظار رفاقه دون أن يكون له مزاحم آخر !

محمد فتحى عبد الوهاب

إعـــلان

تعلن الإدارة العامة للمعاهد الدينية حاجتها إلى كتاب من الحاصلين على الشهادات الآتية :—

العالية . العالمية — العالمية مع الأجازات الثلاث الدعوة . القضاء والتدريس — وذلك عن طريق امتحان مسابقة فى المواد الآتية :—

إمساك الدفاتر . والحساب . والإملاء والإنشاء والخط بأقسامه الثلاث : نسخ ورقعة . وثلث .

وتقدم الطلبات باسم إدارة المستخدمين على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح التى يمكن الحصول عليها من مكاتب البريد وعليها الصورة الشمسية بعد التوقيع عليها .

وتقبل الطلبات لغاية آخر يوم الاثنين ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ وسيكون الامتحان يوم الأربعاء ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

٥٥٠

اقصـــــدوا

متحف فـــؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج .

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتى : —

فصل الشتاء — من أول نوفمبر إلى آخر أبريل من الساعة ٣٠ ٨ إلى الساعة ٠٠ ١٤

رسم الدخول ٢٠ مليماً

تليفون رقم ٤١٩٦٤

مطبعة الرسالة